بسم الله الرحمن الرحيم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ
الصادقين
الخميس ١٨ شوال ١٤٣٨ هـ / ١٣ تموز ٢٠١٧ م العدد ١٧٤
الإسلام محتاج الى جميع أبنائه
نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي ( دام ظله الشريف)

# بادر الى التوبة فأنها تصعب بالتأخير ... التورط بأموال الناس نموذجا

# التعايش السلمي وحفظ حقوق الأقليات في الإسلام(١)

يكثر اليوم الحديث عن التعايش السلمي بين مكونات المجتمع وحفظ حقوق الأقليات في المجتمع المسلم ويراد معرفة رأي الإسلام فيها بعد الممارسات الاجرامية التي قام بها بعض من يدّعون الإسلام زورا وبهتانا أو يرفعون شعارات إسلامية مكرا وخداعا، وفي مقام الإجابة نقول: لا يعبّر عن موقف الإسلام الأصيل في أي قضية الا قادته العظام من خلال سيرتهم وأقوالهم. في كتاب (قرب الاسناد) بسنده عن الامام جعفر الصادق عن أبيه (عليهما السلام) (أن عليا (عليه السلام) صاحب رجلا ذميا) أي من غير المسلمين الذين يعيشون في ظل دولة الإسلام (فقال له الذمي: أين تريد يا عبد الله؟) وهو لا يعرفه انه أمير المؤمنين ورئيس الدولة لأن عليا (عليه السلام) لم يكن يتميز بأي وضع عن الآخرين (قال: أريد الكوفة، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي) أي لما وصلا الى مفترق طريق ويذهب كل منهما الى وجهته لم يذهب أمير المؤمنين (عليه السلام) في طريق الكوفة كما أراد (فقال له الذمي: أليس زعمت تريد الكوفة؟ قال: بلى، فقال له الذمي: فقد تركت الطريق، فقال: قد علمت، فقال له: فلم عدلت معي وقد علمت ذلك؟ فقال له علي (عليه السلام): هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة إذا فارقه وكذلك أمرنا نبينا، فقال له: هكذا؟ قال: نعم، فقال له الذمي: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، وأنا أشهدك أني على دينك، فرجع الذمي مع علي (عليه السلام)، فلما عرفه أسلم)(٢).

أقول: هذه الرواية تبيّن واحدا من آداب الصحبة والمعاشرة وقد التزم بها أمير المؤمنين (عليه السلام) مع غير المسلم كما مع المسلم على حد سواء وهو في موقع قمة الهرم دينيا وسياسيا.

وروى الشيخ الطوسي (قدس سره) في كتاب التهذيب بسنده عمن بلغ به أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (مر شيخ مكفوف كبير يسأل فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما هذا؟ فقالوا: يا امير المؤمنين نصراني قال: فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): استعملتموه حتى إذ كبر وعجز منعتموه!! أنفقوا عليه من بيت المال)(٣).

أقول: يعني ان وجود فقير يستعطي الناس كانت حالة غريبة في دولة علي (عليه السلام) فاستغرب من وجود هذه الحالة لان جميع حقوق المواطنين مكفولة على حد سواء في دولة أمير المؤمنين (عليه السلام). وحتى حينما لا يكونون من مواطني دولة الإسلام لكنهم يأتون في زيارة دبلوماسية أو علمية أو استطلاعية ونحو ذلك فأنهم يحظون بنفس اللياقات والاحترام.

في تفسير القمي بسنده عن أبي عبد الله (عليه السلام) (أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله وكان سيدهم الاهتم والعاقب والسيد، وحضرت صلواتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم، فلما فرغوا دنوا من رسول الله فقالوا: إلى ماتدعوا؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث قالوا: فمن أبوه؟ وكأنهم أرادوا أن يحرجوه (صلى الله عليه وآله) بهذا السؤال ليثبتوا أنه ابن الله (فنزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: قل لهم: ما يقولون في آدم؟ أكان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فسألهم النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا: نعم، فقال: فمن أبوه؟ فبقوا ساكتين، فأنزل الله: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم(٤). إلى آخر الآيات.

وفي رواية أخرى يبيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) الصورة الحقيقة الأصلية لشعائرهم قبل أن يحرفها أصحاب الاطماع حتى ضاعت الحقيقة تحت ركام الأوهام والضلالات والخرافات والانحرافات، في كتاب الامالي للشيخ الصدوق بسنده عن الحارث الهمداني قال (بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الحيرة إذا نحن بديراني يضرب بالناقوس، قال: فقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): ياحارث أتدري ما يقول هذا الناقوس؟ قلت: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم. قال: إنه يضرب مثل الدنيا وخرابه ويقول: لا إله إلا الله حقا حقا، صدقا صدقا، إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا، يا ابن الدنيا مهلا مهلا، يا ابن الدنيا دقا دقا، يا ابن الدنيا جمعا جمعا، تفني الدنيا قرنا قرنا، ما من يوم يمضي عنا، إلا أوهى منا ركنا، قد ضيعنا دارا تبقى، واستوطنا دارا تفنى، لسنا ندري ما فرطنا، فيها إلا لو قد متنا. قال الحارث: يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلها من دون الله عز وجل) لكنه التحريف واخفاء الحقيقة وتجهيل الناس وابتداع الطقوس والخرافات والتشبث بالأوهام كما يحدث الكثير في أمتنا حتى صار المصلحون والمطالبون بتنقية الدين من الشوائب والبدع غرباء محاربين (قال: فذهبت إلى الديراني فقلت له: بحق المسيح عليك لما ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها. قال: فأخذ يضرب وأنا أقول حرفا حرفا حتى بلغ إلى قوله: إلا لو قد متنا. فقال: بحق نبيكم من أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس، قال: وهل بينه وبين النبي من قرابة؟ قلت: هو ابن عمه، قال: بحق نبيكم أسمع هذا من نبيكم؟ قال: قلت نعم. فأسلم ثم قال: والله إني وجدت في التوراة أنه يكون في آخر الأنبياء نبي وهو يفسر ما يقول الناقوس)(٥).

## احياء شعائر ذكرى استشهاد الامام الصادق (عليه السلام)

تحل علينا في نهاية الأسبوع المقبل ذكرى استشهاد الامام الصادق (عليه السلام) الذي ينسب إليه مذهب الامامية الموالين لائمة أهل البيت (عليهم السلام)، ويسعى المؤمنون لإحياء هذه المناسبة بما يليق بصاحبها، ومن تلك الشعائر التشييع الرمزي لنعش الامام في الكاظمية المقدسة منطلقين به الى حرم الامام الكاظم لتعزيته باستشهاد أبيه (صلوات الله عليهم أجمعين).

---

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من شباب قضاء شط العرب والشباب الذي شاركوا في المعايشة الرمضانية في مكتب المرجعية في الكاظمية يوم الأربعاء ١٠ / شوال / ١٤٣٨ الموافق ٥ / ٧ / ٢٠١٧

(٢) بحار الانوار: ٤١ /٥٣ ح ٥ (٣) تهذيب الاحكام: ٦ / ٢٨٧ كتاب القضايا والاحكام، باب ٩٢ في الزيادات، ح ١٨

(٤) بحار الانوار: ٢١ /٣٤٠ (٥) بحار الانوار: ٢ /٣٢١

---

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ (النساء:١٧)

# بادر الى التوبة فأنها تصعب بالتأخير(٦)... التورط بأموال الناس نموذجا

قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء:١٧-١٨) فالآية تبين ان قبول التوبة- اي قبول الله تعالى لعبده بعد ان يعود العبد الى ربه بالندم والاستغفار لان التوبة تعني الرجوع فالحركة متبادلة بين العبد وربه ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ (التوبة:١١٨). وقال تعالى ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ (المائدة:٣٩)- حق فرضه الله تبارك وتعالى على نفسه للذين وقعوا في المعاصي والذنوب رحمة بهم وشفقة عليهم ولعلمه تعالى بضعفهم وقصورهم اذا تابوا وندموا من قريب ولم يسوفوا التوبة ويؤجلوها تماديا في المعصية. ولم يحدد سبحانه الوقت القريب لأنه ممتد مادامت التوبة لها أثر إيجابي في حياة الانسان لكنها كلما كانت سريعة كانت أجدى في زوال اثر المعصية والعودة الى الاستقامة.

روى الشيخ الصدوق في الفقيه بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في آخر خطبة خطبها (من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه، ثم قال: ان السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه، ثم قال: ان الشهر لكثير، ومن تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه، ثم قال: ان الجمعة لكثيرة، ومن تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه، ثم قال: ان يوم لكثير، ومن تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، ثم قال: ان الساعة لكثيرة، ومن تاب وقد بلغت نفسه هذه- وأهوى بيده الى حلقه- تاب الله عليه)(٧) ومثل الآية محل البحث آيات عديدة كقوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام:٥٤) ومثلها (النحل/١١٩). وهذا لا يعني غلق الباب على غيرهم فرحمة الله تسع الجميع، ففي أصول الكافي بسند صحيح عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (اذا بلغت النفس ها هنا- وأشار الى حلقه- لم يكن للعالم توبة، ثم قراء (إنما التوبة على الله)(٨) لكن هذه الآية تذكر شرطي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه قبولها وهما التوبة من قريب وان يكون صدور الذنب بجهالة. اما الذين لا يبادرون الى التوبة ويؤجلونها ثم يتوبون قبل ان يدركهم الموت فهؤلاء موكولون لأمر الله تعالى، قال سبحانه ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:١٠٦) فهؤلاء صنف بين من تقبل توبتهم حتما ومن لا تقبل وهو من لا يتوب حتى ينزل به الموت. والجهالة هنا- كما في الموارد القرآنية الأخرى- ليست مقابل العلم لان الجاهل بحرمة شيء قد يكون معذورا ولأنها قد تطلق على العالم أيضا وقد وصفت حال الأمم قبل الإسلام بالجاهلية مع ان فيهم من بلغ من العلوم والحضارة المادية مرتبة متقدمة، وانما تعني الحماقة والسفاهة والنزق وعدم الحكمة في التصرف وعدم وضع الأمور في موضعها الصحيح والانسياق وراء الشهوات والنزوات بلا تعقل، روى العياشي في تفسير هذه الآية عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (يعني كل ذنب عمله العبد وان كان به عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه) ،وقد قال فيه تبارك وتعالى يحكي قول يوسف لاخوته ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (يوسف:٨٩). فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله)(٩) قال تعالى ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة:٦٧) وكأنه اعتبر عدم انتفاعه بعلمه كعدم العلم.

وقد قال الراغب في معاني الجهل ((فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا او فاسدا)). وكأنه أريد بهذا القيد (بجهالة) إخراج مرتكب الذنوب عنادا وتمردا واستكبارا على رب العزة والجلال وإنكارا لقدرته تعالى. وينبغي الالتفات الى ان هذا الوعد الإلهي الكريم لا يصح ان يكون سببا لاغترار(١٠) الانسان واستخفافه بمقام ربه تعالى، وانما عليه ان يستعصم بالله تعالى ويطلب منه العون على تجنب الذنب اصلا، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (ترك الذنب اهون من طلب التوبة)(١١) ولكن لو حصل الذنب فالمطلوب المبادرة الى التوبة واصلاح الحال لكي يكون مشمولا بالآية الكريمة ولان الاستمرار على الخطأ والخطيئة يصعّب العودة ويعقد الوضع وتكون النتيجة عدم التوفيق للتوبة. من وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبن مسعود (لا تقدم الذنب ولا تؤخر التوبة، لكن قدّم التوبة وأخر الذنب)(١٢) ، ومن كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) (لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجئ التوبة بطول الامل ... إن عرضت له شهوة أسلف المعصية- أي عجّلها- وسوّف التوبة)(١٣) وله (عليه السلام) أيضا (إن قارفت سيئة فتعجل محوها بالتوبة)(١٤)

وأذكر لكم رواية تبين صعوبة التوبة بالتأخير وهي تتعلق بأحد الذنوب الكبيرة التي كثر الابتلاء بها وهو الدخول في اعمال الظالمين والفاسدين وسراق المال العام طمعا بالاستفادة من دنياهم، سواء كان هؤلاء الظلمة قادة سياسيين او رؤساء عشائر او تجار ورجال اعمال او زعماء جماعات القتل والخطف والابتزاز وقبض الرشاوي و نحو ذلك، وقد وردت الروايات الكثيرة الدالة على الحرمة المغلظة للدخول في أعمالهم، منها عن ابي بصير قال (سألت ابا جعفر الباقر (عليه السلام) عن أعمالهم- أي الولاة الظلمة- فقال لي: يا أبا محمد، لا ولا مدة قلم، ان أحدهم (أحدكم) لا يصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينه مثله)(١٥).

فالحذر الحذر من الدخول في شيء من ذلك ومن تورط فعليه بالإسراع في الخروج منها والا فان الرجوع الى الحق سيكون صعبا، روى الشيخ الكليني بسنده عن حميد قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): اني وليت عملا- أي من اعمال الظالمين وولاياتهم- فهل لي من ذلك مخرج؟ فقال: ما أكثر من طلب المخرج من ذلك فعسر عليه، قلت: فما ترى؟ قال: ارى ان تتقي الله عزوجل ولا تعد)(١٦).

ولكي نعرف كيف يصعب الحل ويصبح ثقيلا جدا على النفس الاستجابة اليه، نقرأ الرواية التالية من الكافي بسنده عن علي بن ابي حمزة قال (كان لي صديق من كتاب بني أمية فقال لي: استأذن لي على أبي عبد الله (عليه السلام) فاستأذنت له، فأذن له، فلما ان دخل سلم وجلس، ثم قال: جعلت فداك أني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالا كثيرا، وأغمضت في مطالبه- أي لم أدقق في كون مصدره حلالا أو حراما- فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لولا ان بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئا الا ما وقع في أيديهم) وهكذا كل الطغاة والظالمين والفاسدين لولا انهم وجدوا من يمكنهم ويسلطهم بالقوة او بالانتخابات لما وجدوا مجالا لممارسة الظلم والفساد لانهم لا يملكون القدرات الذاتية التي تمكنهم من فعل شيء كشرذمة بني امية وسائر الطواغيت والظلمة (قال: فقال الفتى: جعلت فداك فهل لي مخرج منه؟ قال: ان قلت لك تفعل؟ قال: أفعل، قال له فأخرج من جميع ما كسبت في ديوانهم فمن عرفت منهم) أي من أصحاب الحقوق المالية (رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وانا أضمن لك على الله عز وجل الجنة، فاطرق الفتى طويلا) لان المطلوب منه صعب عسير وقد تعوّد على وضع اجتماعي ومالي لايستطيع الخروج منه الا ذو حظ عظيم وهذا معنى قولنا ان التوبة تصعب بالتأخير (ثم قال له: لقد فعلت جعلت فداك. قال أبن أبي حمزة: فرجع الفتى معنا الى الكوفة فما ترك شيئا على وجه الأرض الا خرج منه حتى ثيابه التي كانت على بدنه قال: فقسمت له قسمة واشترينا له ثيابا وبعثنا اليه بنفقة، قال: فما اتى عليه الا أشهر قلائل حتى مرض) وربما كان مرضه لثقل الهم والشعور بالمسؤولية امام الله تعالى وضريبة الغفلة التي كان فيها قبل أن يستيقظ (فكنا نعوده، قال: فدخلت يوما وهو في السوق(١٧) قال: ففتح عينيه ثم قال لي: يا علي وفى لي والله صاحبك، قال: ثم مات فتولينا أمره، فخرجت حتى دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام)، فلما نظر الي قال لي: يا علي وفينا والله لصاحبك، قال: فقلت صدقت جعلت فداك هكذا والله قال لي عند موته)(١٨). أقول: وهكذا في سائر الامور علينا المبادرة الى اصلاح الخطأ ومعالجة الخلل قبل ان يتسع ويتعذر إصلاحه، مثلا يحصل خلاف وسوء تفاهم بين شخصين كالزوجين أو الاخوين أو بين جماعتين، فعليهم ان ((يعبروا النهر ما دام ضيقا)) كما في المثل العامي اما اذا استمروا في الخلاف وتدخلت عناصر أخرى بالقيل والقال فان المشكلة تستعصي على الحل. ومما يزيد صعوبة التوبة ايضا فيما لو تسبب بتوريط الاخرين في الظلم والمعصية والضلالة كدعاة الفسق والفجور والالحاد والعزوف عن الدين وتشويه صورة الصالحين وتسقيطهم او دعوة الناس الى اتباعه بغير استحقاق و نحو ذلك لان من شروط التوبة حينئذ ان يصحح ويعالج كل ما تسبب به ويلاحقه أينما كان. وهذا قد يستحيل تحقيقه وليس له الا لطف الله تعالى وكان عليه ان يتورع من اول الامر ولا يتورط بأمثال هذه المعاصي فيصبح ضالا ومضلا.

---

(٦) ورد بعضها في كلمة ألقاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على جمع من طلبة عدة كليات في جامعة كربلاء يوم الثلاثاء ٩ / شوال / ١٤٣٨ المصادف ٤ / ٧ / ٢٠١٧. (٧) الفقيه: ١ /١٣٣ ح ٣٥١ (٨) الكافي: ١ /٣٧ ح ٣

(٩) تفسير العياشي: ١ /٢٢٨ ح ٦٢ (١٠) راجع خطابا سابقا في تفسير قوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) (١١) بحار الانوار: ٧٣ / ٣٤٦ / ح ٩٦ (١٢) مكارم الاخلاق ص ٣٩، بحار الانوار: ٧٧ /١٠٤ ح ١ (١٣) بحار الانوار: ٦ /٣٧ ح ٦٠

(١٤) بحار الانوار: ٧٧ / ٢٠٨ ح ١ (١٥) لوسائل: ١٧ /١٧٩ أبواب ما يكتسب به باب ٤٢ ح٥ (١٦) الوسائل: ١٧ /١٨٩ الباب ٤٥ عسر التوبة ح ٥ (١٧) أي حالة الاحتضار ونزع الروح فكأنها تساق لتخرج من البدن (١٨) وسائل الشيعة: ١٧ / ١٩٩ ، أبواب ما يكتسب به، باب ٤٧ ح ١

---

# وصية الامام الحسن السبط (عليه السلام) عند وفاته(١٩)

للإمام الحسن السبط المجتبى (عليه السلام) وصايا جليلة قالها قبيل وفاته (عليه السلام) رواها في كتاب كفاية الأثر(٢٠) بسنده عن جنادة بن ابي أمية قال (دخلت على الحسن بن علي ابن أبي طالب (عليهما السلام) في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم و يخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية لعنه الله فقلت: يا مولاي مالك لا تعالج نفسك؟ فقال: يا عبد الله بماذا اعالج الموت؟ قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم التفت إلي فقال: والله لقد عهد إلينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماما من ولد علي وفاطمة، مامنا إلا مسموم أو مقتول، ثم رفعت الطست وبكى صلوات الله عليه واله. قال: فقلت له: عظني يا ابن رسول الله، قال: نعم) ولم يبخل الامام (عليه السلام) بالنصيحة وهو في ذلك الحال المؤلم على من أراد أن يستثمر اللحظات الأخيرة من وجوده المبارك فقال (عليه السلام).

(استعد لسفرك) فنحن في هذه الدنيا على جناح سفر الى الآخرة لا نعلم متى يعلن ملك الموت عن الرحيل كالمسافرين المنتظرين في قاعة المطار وينادى بهم تباعا. بحسب الرحلات المتوجهه الى مختلف الدول، فيقوم من يحين موعد طائرته ليغادر وقد شبه الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) الموت بالسفر عندما جاء لتعزية ذوي ميت فقال (عليه السلام) ما مضمونه (ان صاحبكم هذا الميت كان يسافر في حياته فاجعلوا رحيله هذا مثل احدى السفرات فان لم يعد من سفره هذا فأنتم تمضون اليه).

(وحصّل زادك قبل حلول أجلك) فان السفر يحتاج الى زاد ومؤونة مناسبة له وهكذا جرت سيرة العقلاء في اسفار الدنيا فانهم يجهزون كل ما يحتاجونه في السفر الى مقصدهم وإن كانت الحاجة اليه ضئيلة، فكيف بسفر الآخرة الذي لا رجوع بعده وفيه من الاهوال والشدائد ما لا يعلمه الا الله تعالى، فالعاقل لا يفرط بأي لحظة من غير الاستعداد لهذا السفر، وقد نبأنا الله تعالى عن الزاد النافع في هذا السفر، قال تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة:١٩٧) وفي رواية ان أمير المؤمنين (عليه السلام) لما رجع من صفين واشرف على القبور بظاهر الكوفة خاطبهم بكلمات منها ((يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة)) الى أن قال ((هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟!)) ثم التفت الى أصحابه فقال ((اما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى))(٢١).

(واعلم انك تطلب الدنيا والموت يطلبك) وسيدرك الموت طلبه ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء:٧٨) فعليكم ان لايشغلكم طلب الدنيا عن الاستعداد له قبل أن يصلكم، في دعاء ليلة ٢٧ من شهر رمضان ((اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت)) فأجعل طلبك للدنيا وما يحصل لديك منها في ما يرضي الله تعالى فان الدنيا مزرعة الآخرة.

(ولا تحمل هم يومك الذي لم يأت على اليوم الذي انت فيه) هذا منطق عقلائي فلا تقلق ولا تحزن لأمور لم تحصل بعد وهي مجرد احتمالات وعش يومك الذي انت فيه، وكذلك على صعيد الطاعة فلا تستكثر مؤونتها فتضعف ارادتك وتترك العمل، كمن يستثقل صوم شهر رمضان لان الجو حار وعلى مدى ثلاثين يوما، ولكنه لو التفت الى أنه حقيقة وفعلا يلزمه مؤونة اللحظة التي هو فيها. لان ما قبلها قد انتهى وما بعدها لم يتحقق لذا ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (الشجاعة صبر ساعة)(٢٢) أي الساعة التي أنت فيها فلا تجمع على نفسك هم الماضي والحاضر والمستقبل فتنهار.

(واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك) لان أموال الانسان مهما كثرت فانه لا يصله منها الا ما أنفق على نفسه أو قدّمه لآخرته اما الباقي فهو مجرد خازن له سيتركه الى ورثته ليهنأوا به ويتحمل هو تبعته واوزاره. وهذه حقيقة دامغة لكل من يكون همّه جمع المال وزيادة ارصدته من دون الالتفات الى مشروعية كسبه أو اخراج حق الله تعالى منه وإنفاقه في وجوه البر والإحسان ليكون ذخرا له في آخرته ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ (البقرة:١١٠)، روت عائشة: (أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) (مابقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: بقي كلها غير كتفها)(٢٣)، لانه بإنفاقها يكون قد ابقاها وعزز رصيده عند الله تعالى بها.

(وأعلم ان في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب) هذه هي الاحتمالات المتصورة في وصف ما نكسبه من هذه الدنيا وفي أحسن حالاته يكون حلالا وهو لا عقوبة عليه لكن الحساب عليه يطول كلما ازداد ماجناه وطول الحساب بحد ذاته فيه مشقة وعسر في يوم القيامة المهول، اما اذا كان شبهة فلا يعاقب أيضا لكنه يعاتب لأنه كان عليه التثبت قبل اقتحام الشبهات، والعتاب من الرب الرحيم الكريم الودود له وقع قاسي على العبد الفقير المحتاج المضطر، اما اذا كان حراما فالويل والثبور له.

ثم يوجه الامام (عليه السلام) نصيحته في كيفية التعامل مع الدنيا (فانزل الدنيا بمنزلة الميتة: خذ منها ما يكفيك، فأن كان ذلك حلالا قد زهدت فيها، وإن كان حراما لم يكن فيه وزر، فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فان العتاب يسير) فليكن تعاملك مع الدنيا كما تتعامل مع الميتة فانك تستقذرها وتتجنبها ولا تنال منها الا عند الاضطرار وبمقدار الضرورة.

وهذه النصيحة تكون آكد لمن لا يثق من نفسه أنه يؤدي لله تعالى حقه فيما يصل اليه، اما الواثق المطمئن- ووجوده نادر- فان زيادة الدنيا تكون خيرا له ولغيره لانه سيضعها في محلها وسيكون شيئا لسعادة الآخرين وإعزاز الدين ففي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (الدنيا مزرعة الآخرة)(٢٤).

(واعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) فعليك ان تحقق هذا التوازن في حياتك فلا تفهم من المواعظ السابقة على أنها تدعوك الى اعتزال الحياة والمجتمع والانغلاق على نفسك لان المطلوب منك ان تؤدي دورك في اعمار هذه الحياة ماديا ومعنويا وكأنك باق فيها ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١) وفي الحديث الشريف: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)(٢٥) لكن من دون ان يشغلك عملك عن الاستعداد للآخرة لأنك لا تعلم متى يفاجئك الموت وتنتهي فرصة اكتساب الحسنات.

(وإذا اردت عزا بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته الله عزوجل) هذه هي الحقيقة وما عداها وهم فان العزة والهيبة لله ولرسوله وللمؤمنين، وليست بالمال او السلطة او الجاه أو كثرة الاتباع فان عزتها وهيبتها وهمية مرتبطة بوجود هذه العناوين وتزول بزوال تأثيرها عند المتملقين والمنافقين وذوي الاطماع وحادثة الامام السجاد (عليه السلام) أوضح شاهد على ذلك عندما تقدم نحو الحجر الأسود ليلثمه فانفرج الحجيج سماطين وتقدم بكل عزة وهيبة بينما حاول الملك الأموي المتفرعن هشام بن عبد الملك بكل جهده وجيشه واعوانه أن يشق له طريقا نحو الحجر فلم يستطع، وحينئذٍ تفتقت قريحة الشاعر الفرزدق عن قصيدته الميمية المشهورة.

ثم بدأ الامام السبط (عليه السلام) بذكر اوصاف الصديق الصدوق الذي تتخذه لنفسك (وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولك وإن مددت يدك بفضل مدها، وإن بدت عنك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت إحدى الملمات به ساءك. من لا تأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسما آثرك) أي اذا اردت تقسيم شيء مشترك بينكما كميراث أو مال شركة تجارية فضلك على نفسه عند الاختلاف في مقدار منها.

(قال: ثم انقطع نفسه واصفر لونه، حتى خشيت عليه، ودخل الحسين (عليه السلام) والأسود بن أبي الأسود فانكب عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه، ثم قعد عنده فتسارا جميعا، فقال أبو الأسود: إنا لله إن الحسن قد نعيت إليه نفسه).

---

(١٩) موعظة تحدث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في مكتبه يوم السبت ٢٩ / رمضان / ١٤٣٨ المصادف ٢٤ / ٦ / ٢٠١٧. (٢٠) وأوردها عنه المجلسي في بحار الانوار: ٤٤ /١٣٨ (٢١) نهج البلاغة، قصار الكلمات، رقم ١٣٠

(٢٢) البحار: ٧٨ / ١١ / ٧٠. (٢٣) رواه الترمذي شرح كتاب رياض الصالحين ٦٠- باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى. (٢٤) أورده الغزالي في كتابه احياء علوم الدين. (٢٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (١ /١٦٨) عن أنس بن مالك.

---

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٣٦)

# لاتعتنق عقيدة او فكرة ولا تقل او تفعل فعلاً الا عن علم ويقين

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:٣٦) ولا تقف: أي لا تتبع، من القفو وهو الاتباع كقولك اقتفيت أثره، والفرق ان الاتباع يطلق على كل افراده سواء كان اختياريا او باكراه، اما الاقتفاء فيختص بالاتباع الاختياري، فالآية تؤسس قاعدة رصينة في التلقي والأخذ من قنوات ومصادر المعلومات الخارجية والداخلية وهي الاذن والعين والتأملات الذهنية فلابد أن يكون ذلك مستندا الى العلم الذي يشمل المعلومات المتيقنة المأخوذة عن حس ومشاهدة، أو عن مصادر معتبرة عند العقلاء التي لا يُعبأ باحتمال الخطأ فيها كإخبار الثقة او التواتر.

وهذه القاعدة القرآنية يجب تفعيلها في كل نواحي الحياة، فلا يرتب أثرا على ما يسمعه او يجده مكتوبا أو ينقدح في ذهنه الا اذا وجد دليل علمي عليه سواء كان في الاعتقاد او السلوك او العلاقات مع الآخرين ولا ينشر شيئا الا بعد ان يتأكد من مصداقيته وجواز نشره، في الحديث عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (ان من حقيقة الايمان ان لا يجوز منطقك علمك)(٢٧) وفي حديث عن الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام) (ليس لك ان تتكلم بما شئت، لان الله عزوجل يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)) وفي الحديث النبوي (ايما رجل اشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال)(٢٨) ، فمن لا يأخذ بهذه القاعدة يعرض نفسه للمسؤولية، ويكون اول شاهد عليه حواسه ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

مثلا شخص يدعي عنوانا معينا كالسفارة عن الامام المهدي (عليه السلام) او الوكالة والنيابة عنه لا يجوز تصديقه لانها دعوى غير مستندة الى العلم، او شخص يتبنى مشروعا معينا كإصلاح الأوضاع العامة وتغيير أحوال الناس نحو الاحسن لا يجوز تصديقه واتباعه حتى يتحقق من مصداقيته، او ما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من اتهامات لهذا وذاك بالفساد والصفقات المشبوهة لا يجوز تصديقه وترويجه الا بعد التحقق من صدقه او ما تتداوله الناس من أخبار عن هذا وذاك أنه فعل كذا وقال كذا لا يجوز تبنيه وترتيب الأثر عليه لان مثل هذه المصادر لا يوثق بها وقد تصل الحالة الى الاقتتال والقتل لمجرد انه قيل له ان هذا الرجل او تلك المرأة فعلا كذا وكذا قبل أن يتبين حقيقة الأمر وقد يكون المخبر مبغضا او حاسدا او له غرض شخصي فيعمل على القاء الفتنه بهذه الاخبار وقد يكون متوهما او مشتبها كما وقع في الكثير من الحالات.

والشرع المقدس يرى الصدق في هذه الأمور قبيحا فكيف بالكذب لان فيها تدميرا للعلاقات الاجتماعية وتخريبا للأسَر، في الحديث النبوي الشريف (ثلاث يقبح فيهن الصدق: النميمة وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه وتكذيبك الرجل عن الخبر)(٢٩) وفي حديث اخر عن الامام (عليه السلام) قال (من روى على أخيه المؤمن رواية يبتغي بها شينه وهدم مروته اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ثم لا يقبله الشيطان)(٣٠) بغض النظر عن كونه صادقا او كاذبا فيما روى، وبالمقابل مدح الله تعالى قوما فقال تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:١٧-١٨) فلا يكتفي احدهم بصدق الخبر حتى يرتب عليه الأثر أو ينقله للغير، لان الصدق قد يكون ضارا، بل يتثبت من حسن القول مضافا الى صدقه.

وهذه القاعدة القرآنية مما تدعو له الفطرة السليمة أيضا فانها تتحرى دائما الوصول الى الواقع والحقيقة فلا تعطي قيمة للمظنون او المشكوك، ويحاول العقلاء أن يصلوا الى الحقيقة وتحصيل العلم بأنفسهم إن أمكن والا فيرجعون الى من له العلم بذلك كمراجعة المريض للطبيب، أو رجوع عامة الناس الى المجتهد العارف بتحصيل الاحكام الشرعية وهكذا، ولا يعذرون من يتبنى عقيدة او قولا او فعلا من دون ذلك، وقد لبّى الله تعالى حاجة هذه الفطرة لدى الانسان فاعطاه السمع والبصر والعقل لتكون له أدوات يصل بها الى الحقيقة، وسيسأل الانسان عن كيفية توظيفه واستعماله هذه الأدوات فهل ان ما اصغى له بسمعه كان من مصدره الموثوق، وهل ان ما نسبه الى عينه حينما يقول رأيت كان قد رآه فعلا و واضحا لديها فعلا؟ وهل ان ما فكّر فيه ورتبه بذهنه كان مستندا الى معلومات صحيحة؟ وهذه الحواس ستشهد عليه وتجيب بصدق ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت:٢٠) فعلى الانسان ان يحذر ويتجنب اتباع ما ليس له به علم والا فانه لا يكون معذورا.

والمطلوب دائما هو التثبت من المعلومة قبل البناء عليها، ومن صدق الدعوى قبل التسليم بها، ولو بنى المجتمع حياته على هذه القاعدة القرآنية لأغلق أبواب الكثير من المفاسد والاضرار والخرافات والانحرافات وبهذا المنهج نحافظ على العلاقات الاجتماعية وسمعة الأشخاص وكرامتهم ومنع حصول حالة الإحباط واليأس لدى العاملين بسبب ما يشيعه الحاسدون، وبذلك نستطيع تقويم عقائد وأفكار المجتمع من الانحراف والضلال.

فعلى مستوى الاعتقاد: لم يقدم الملحدون دليلا علميا على نفي وجود الخالق تبارك وتعالى وغاية ما يدعون انه لم يثبت عندهم وجوده سبحانه فكيف يريدون بجهلهم هذا نفي الأدلة القاطعة التي يقيمها المؤمنون بالله تعالى.

والذين ينكرون المعاد ليس عندهم دليل وانما هو مجرد استبعاد وقصور اذهانهم عن تصور الحالة بينما المؤمن عنده الحجج الدامغة على هذه الحقيقة، وكذلك الذين ينكرون الوحي والنبوة، قال تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (يونس:٣٦).

وهكذا اذن المطلوب التثبت وتحصيل العلم في كل شؤون الحياة فلا يجوز تصديق خبر بناءا على الاشاعات أو الاقدام على فعل لمجرد ان الناس فعلته مما سمّوه بالسلوك الجمعي وجعلوا له مثلا يستشهدون به وهو ((حشر مع الناس عيد)) كزيارة بعض القبور او القيام ببعض الاعمال التي لم يثبت أصلها، او اتباع شخص لمجرد ادعاءات ما لم يتحقق من توفر الشروط المطلوبة.

فهذه كلها مخالفة لهذه القاعدة القرآنية، وقد روي في كتب العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله (بئس مطية الرجل: زعموا)(٣١) وقوله (صلى الله عليه وآله) (اياكم والظن فان الظن اكذب الكذب)(٣٢) وفي حديث آخر (إن افرى الفرى ان يُري الرجل عينيه ما لم تريا)(٣٣).

وفي حواراتنا لابد ان نستند في مواقفنا الى الحجة والبرهان لا الظنون والقياسات لا الظن والتهمة، لافي احكامنا على الآخرين بالظن والتهمة والاشتباه والاحتمال، لذا لا يبني القاضي على كلام المدعي في قضية معنية وإنما يطالبه بالبينة ويسمح للمدعى عليه بالدفاع عن نفسه وهكذا.

وبذلك يكون الإسلام قد سبق الحضارات المعاصرة في تأسيس منهج التثبت العلمي الشامل لكل شيء، حتى العلوم التجريبية والطبيعية حيث لا مكان للافتراضات الوهمية والاحتمالات غير المحصة والاحكام الساذجة، و يجعل ذلك مسؤولية شرعية وأمانة يُسئل عنها وهذه الرقابة الداخلية مما تميز المنهج الإلهي عن المادي، ويستشعرها المؤمن حتى لو خلى عن أي رقيب حتى على مستوى المشاعر والخلجات القلبية، فلا يقول كلمة بلسانه ولا ينقل حادثة عن أحد ، ولا يحكم بعقله حكما ولا يعقد أمرا الا وقد استند فيه الى المعلومة الصحيحة.

فلنتعاون جميعا لنشر هذه الثقافة القرآنية والمنهج القرآني الكفيل بتحقيق السعادة والصلاح ولتجنب التداعيات الاجتماعية الخطيرة، والا فان الثقة ستنعدم بالجميع و يختلط الصالح والفاسد وتضيع الحقيقة ونفقد كل أمل بالصلاح والإصلاح.

---

(٣٦) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر المبارك يوم الاثنين ١/شوال/١٤٣٨ الموافق ٢٦ /٦ /٢٠١٧ (٢٧) وسائل الشيعة: ١٨ / ١٦،١٧ (٢٨) الدر المنثور: ٤/١٨٢ اخرجه الحاكم وصححه عن ابي ذر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢٩) ميزان الحكمة: ٥ /٤٤

(٣٠) الكافي ٢ /٣٥٨ (٣١) سنن ابي داوود: ص٢٥٦ (٣٢) وسائل الشيعة: ١٨ /٣٨ (٣٣) من صحيح البخاري

يمكنكم إرسال إستفتاءاتكم على عنوان مكتب المرجع الديني سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)
العراق / النجف الأشرف / نهاية شارع الرسول / أو على عنوان البريد الألكتروني : .com
موقعنا على الأنترنت : www.yaqoobi.com

جميع الحقوق محفوظة
لموقع سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي